عند القمة الأولى . . .

للأستاذ محمد العلائى

[أخى سيد قطب :
كان فى حسابك وحسابى أنى سأبعث بهذه القصيدة أو بمثلها من « لندن » ولكن ! ضحكت الأقدار وبعثت بها من هذه القرية المصرية الهامدة التى مزقت أهلها مقبرة الأنفس وبجاعة الأفواه !! .. فهل يأذن أستاذنا « الزيات » وهو والد كريم ولمحنتى حق فى « رسالته » هل يأذن فى أن أشهد على وزارة المعارف المصرية وموقفها من « بعثتى » بعد أن أصبحت حقاً لا يقوى على اغتصابه إلا من أعفى نفسه من الواجب والضمير . أريد أن أشهد على وزارة المعارف وعلى شعورها بقضيتى أولئك الذين مسنى عطفهم أو عنايتهم من أساتذتى بالجامعة وخارجها ومن أصدقائى الأقربين ...

وأشهد وزراء المعارف وذوى الأنفس والآراء فى الشرق العربى على وزارة المعارف المصرية وكيف أفقدتنى الثقة فى وطنى وبيئتى مما جعل غايتى فى الحياة أن أخرج من «مصر» التى أبت على أن أنعم من الدنيا بالماء والهواء وأن أكون عاملاً أميناً مخلصاً فى قضية الحق والخير وأن أخدم طائفتى من أبناء الظلام فأعوضهم عن ظلمة البصر نور البصيرة . فلتحتمل وزارة المعارف المصرية تبعة انزوائى فى هذه القرية أو هجرتى من هذا الوطن الذى لم تشملنى وزارة معارفه بنبرة من العطف الذى شملتنى به وزارتا المعارف الأنجليزية والأمريكية] .

« العلائى »

طال عهد النوى فسيروا أمامى ... ودعونى فلن يطول مقامى !
ودعونى فما انتهيت ولكن ... أوهن الخوف والرجاء عظامى
وازدرانى لما أرى لم يدع لى ... أملا فى الثرى ولا فى الغمام
فرّق الصحو مهجتى وطوانى ... ألم السهد بين قوم نيام
قصّر العزم خدعة بعد أخرى ... فى شعور مفزّع بالحمام !
كم طويت الشعاب أحمل نفسى ... تحت عبء الرغاب قيد الظلام
وسقى الشوك فى الأجادب مائى ... وترامى على الأفاعى سلامى !!
أستر الفحش فى عيون الليالى ... وأدارى سفاهة الأيام
أستحث الخطى صباحاً فتبدو ... عثرات المساء فى أقدامى
مسرف لا أريد غير بعيد ... يائس تستخفنى أوهامى
وبصدرى مع الشقاء صراع ... بين حب المنى وبغض الزحام
كنت أهوى امتداد خطوىَ حتى
تتوارى مواطن الأحلام
غير أنى أحس ضعفاً ... وهذا ... مجمع الشوق والعواطف دام
وبنفسى تساؤل وملال ... ولجفنىَّ رغبة فى المنام

ذهب الركب والتقيت بنفسى ... هامد الحس من صروف الليالى
من طريق أحلامه عبرات ... فى ظلام الكهوف والأدغال
وقطيع دماؤه من صديد ... أفرزته نجاسة الأذيال
حمل الخزىَ فى وجوه عليها ... بسمات الزمان غير مبال
فى عظامى تقزز . . وبنفسى ... غثيان من قوله والفعال
فى حماه عشقت سود الأمانى ... وشربت القذى طرح الملال
وعدمت الصديق أهفو إليه ... فى ذرى شوقه ومسرى اكتمالى
أنزع الشوك من رؤاه ... ويرمى ... زهرة الشر من رياض انفعالى
نكب النور فى المدى وتوالى ... دوحة الخلد فى سكون الكمال
وعدمت الملاك يشرع ذاتى ... فى سلام الربى ومجد الأعالى
فوق عرش من المودة يندى ... بشذى رحمتى وفيض ابتهالى
سكنت روحنا إليه وغابت ... فى أناجيل من وراء الخيال
ضل عنى رجاؤها رغم أنى ... صانع الوهم خالق الآمال
واحتوانى السكوت رغم لسان ... عرفته مضارب الأمثال

ذهب الركب والتقيت بنفسى ... أنزع الحس من رميم الشقاء
وكأنى بهم مقابر موتى ... بعثرتها عواصف الصحراء
وأرى بالعظام جمرة سُخرى ... وبأشلائهم قروح ازدراء
عفّن فاح من جماجم أهلى ... أشبهت ريحه صديد البلاء
ذكرتنى الرمام عهداً تولى ... وزماناً مضى لغير لقاء !!
ذكرتنى بأنفس وأفاع ... شرقت بالزعاف تحت سمائى
مسنى غدرها فأضحك همى ... ثم أهدى لها الدوارَ وفائى
وبأخرى منحتها من وجودى ... نشوة الأمن واحتساب الرجاء
ورمتنى بشرها فوقانى ... شر نفسى وشرة الأهواء
وبأخرى تظامأت تحت حسى ... فسقاها تنبل وحيائى
شربتنى وحين خارت قواها ... علمت أن حكمتى فى دمائى

وبأخرى وأخريات تـلوى تحت ماض يمور فى أحشائى
آه من يبعد الرمام ويقصى فضلات البلى ودود الفناء
غير أن الرمام خـير وأزكى من ذويها بسـالم الأحياء

ذهب الركب والتقيت بنفسى بين أجدائها ومسرى الحياة
ومضى النـــاس أنفســـاً تتشهى
جيفة الأرض، وامتصـــاص الرفات

دنسوا مورد الحياة وفاتوا رجس أفواههم على الثمرات
عشت فيهم بظاهر من شعورى مشمئز النهى رضى السمات
ثم ضمدت بالزعاف جراحى !! وتعنيت للأصم شكاتى !!
يا لنفسى بها نبىٌّ وطفل !! فهى فوق المدى وبين اللدات !
تسـع الكون غاية وابتداء ولها بعد ذاك فى التافهات !!
يالنفسى بها بشـــاشر غيث يغمر الجدب ماؤه بالصلات
ويعد الظلال تهوى إليها أنفـس الظامئين للرحمات
يا لنفسى بها بشاشر نجم ينفح الليـل نوره بالهبات
يكشف الستر عن كثير وينشى فى الدياجى مهازل الحرمات
يا لنفسى جهلتها ... كيف غيرى ؟ !
ويح من خاض وهمه فى صـــفاتى

خاطرى كالسحاب ليس مقيما هو فى الصبح غيره فى الغداة
أنكرونى ملثما .. ليت شعرى لو تراءت لهم معالم ذاتى !

ذهب الركب والتقيت بنفسى ليس محواً وليس حلم اتحاد
ذاك ما كنت أرتجيه وهذا فوق ما أرتجي وفوق مرادى!!
تلك نفسى وذاك غير قليل مأىَ النور والحقيقة زادى
فرحة الغيب أشرقت فى ضميرى وينابيع راحهـا فى ازدياد
أومض الحق بالرجاء وهبت نسمة الروح فى كيان الجماد
لمحات تمـايلت فى سـناها راســـيات المكان والآباد
لمسات من الكمال وأخرى تاه فيها المدى وذاب فؤادى
ونشـــيد من الجمال تبدى فيه أحـلام غايتى وانفرادى
دوحة الخير هذه ... كم تراءت فى منامى ظلالها ومهادى
شهدت مولد الزمان وألقت فى يديه بما ترى من أياد !
ذلك البحر قطرة من نداها بين هذى الربى وتلك الوهاد

مست الكون يوم كان فألفى حظه من تكامل وامتداد
سكرت مهجتى وغابت رؤاها ويك إنى أخاف سفح ارتدادى
نشوة الحلم فى حسابىَ أهدى من يقين بواقع الأصـفاد

ذهب الركب والتقيت بنفسى بين هم مضى وحلم كذاب
منذ حين دفنت أمسى حتى زهرات ورثتهـــا أحبابى
ورسوماً تفوح منها معان نسيتها لدىَّ ريح الشباب
وتناسيت أرضنا وهواها وتجاهلت أننى من تراب !
ثم أســـلمت للسماء رجائى وتحيرت فى السها محرابى
وتسـاميت فى المدارج حتى مست الغيب فى العلا أسبابى
وارتوى خاطرى وأوشك ينسى موبقات الصدى وراء السراب
واستوينا على السكينة لكن عاود النفـس حبها للعذاب
يا لنفسى تذكُّرٌ واشـتياق نازعاها إلى حضيض الرغاب
هاهنا الدوح والظلال فمالى أتشهى منابت الأعشاب !!
لى فؤاد يعاف قبل اكتفاء مستطار يهيم بعد ارتياب
ظلمة الطين حركت فى ضلوعى صور الناس وارتياد الشعاب
ضجة الركب لم تزل تحت سمعى وأمانيه لم تزل فى حسابى
فوق هذا الأنام روحىَ لكن لم يصـل بى مكانة الأرباب

ذهب الركب والتقيت بنفسى أستشف المدى وروح الزمان
أنطق الوهم كل أعجمَ حتى كلمتنى صخور هذا المكان !؟
وتوهمت أن للدوح سمعـــاً فمزقت الشجىَّ من ألحانى !!
وتخيلت فى النجوم عيوناً ! فكشفت الجراح قبل الأمانى!!
وحسبت الرياح تعقل خطبى فأفاضت سريرتى وبيانى !!
وتأملت ... لم أجد غير نفسى!! وجـــاد غمرته بالمعانى !!
وتراجعت أسترد شعورى فأهالت جودها فى كيانى
ضل فى عشرة الجماد ذكائى بعد ما ضل فى بنى الإنسان !!
كم تمنيت غير شىء وخاضت فى فضاء مفرغ أشجانى
كم ركبت الشقاء نحو ضلال وتوسدت فى الدجى أدرانى
كم تلهيت بالكبائر حتى طفر الرعب من دم الشيطان !!
كم تطهرت بالقداسة والنـــبوز وفاض الحياء من إيمانى !!
أنت يا من خلقتنى كنت أولى بضيائى من الثرى والهوان !!

أنا راض بما قضيت ولكن ... عاتب أخرس الحياء لسانى

ذهب الركب والتقيت بنفسى ... تتشاكى مذاهبى وديارى
أطفأ اليأس ما أمامى حتى ... مثل النور بعد شمس النهار !
وجم القلب ... لا صلاة عليه ... لا ولا قدرة على أوزار !
وانقضى الخوف والرجاء وزالت ... شائقات الرضى ففيم انتظارى ؟!
لم تدع موجة الصعود لحسى ... رمقاً أهتدى به فى انحدارى !!
كلما لاح فى الأصائل معنى ... طمسته شوائب الأسحار
أذهلتنى مواقف الحظ منى ... وجنونى بحكمتى واختيارى
راعنى ذلك التصادف حتى ... خلت فيه تصرف الأقدار
ليتنى لم أذق تجارب دهر ... سلبتنى إرادة الأحرار
حلقات من التماسك هاجت ... فى أوجاعها خطوب انهيارى
شرقت بى محافل ستباهى ... بازدرائى لها وتبكى احتقارى
قيم الأرض وهى منها أثارت ... فى سمائى رواسب الأغوار
لم أزل أذكر السماء فتهوى ... فى أحلامها لغير قرار !
بين جنبى خفقة لو رأوها ... لأصابت قلوبهم بالدوار

ذهب الركب والتقيت بنفسى ... فى سهب الأسى وسهوى ارتفاعى
وذكرت الشقاء فى اليم حتى ... ذهبت ريحه ومال شراعى !
وتوسدت خيبتى ورجاء ... مزقته وساوس الأوجاع
وتواريت فى بقايا كيان ... أتملى فضاءها وأراعى !
بعدت غايتى وقصر عزمى ... حرج الضعف واشتباه الدواعى
وجنونى بما شربت عليه ... غير كأس من القذى والخداع
وانطوائى على فراغ وخوفى ... سكرات المنى وهول الصراع
وانتفاضى لما أهاجت بصدرى ... عثرات الجدود والأوضاع
من جراح تمرغت فى دماها ... سابحات البلى ومرضى الأفاعى
وخطوب تعفنت واشتهتها ... آكلات الرميم دود البقاع
ضاقت الأرض والسماء ومالى ... غير نفس قليلة الأطماع
غاية العيش عندها أن تراءى ... فوق مرعى العيون والأسماع
أهب الحب والرجاء وتسرى ... نفحات السلام خلف شعاعى
ومع هذا المنى أمامَ أمسى ... ووزائى غدى ففيم اندفاعى ؟!

ذهب الركب والتقيت بنفسى ... فى اشتياق عليه لون الفراق !!
ورماناً ذكرته حين هبت ... ريح أيامه على آفاقى ...
وحياة أضمت حظى منها ... فى جنونى بها وفى إغراقى !
وشباباً زويت يومى عنه ... بانطوائى على غد واحتراقى !
وأمانٍ ذهبن إلا هشيما ... ليس فيه تفاؤلى واشتياقى ! !
وأمانٍ تشربتنى ومصت ... دفء قلبى وحكمة الأعماق !
أذهلتنى عن الحياة ودست ... فى شعورى تمائم الأخفاق !
وأمانٍ تهافتت يوم صحوى ... صوراً من تزيدى واختلاقى !
وأمانٍ أرقت فيها وجودى ... ثم جاءت فلم تجد أشواقى !
وأمانٍ من الذرى وإليها ... طال فيها مع المدى إطراقى
علمتنى الذرى محبة نفسى ... وكفى الغيرَ بسمةُ الإشفاق !
علمتنى وباركت فى طموحى ... نشوة الكبر ساعة الأعداق !
فسلام على الذرى ... ولنفسى ... ما تمنيت من جزاء وفاق !
خفق الحظ بالجنوح فإما ... لغروب خطاى أو إشراق !

(الزقازيق — كفر الحمام)

محمد العزبى

إذا أردت نموذجاً

من الميزان الدقيق ، والتحليل العميق ، والرأى الثاقب ، والنقد الصائب ، والدليل الذى يرشدك إلى قيم أشهر الكتب وأقدار أشهر الكتاب فاقرأ :

كتب وشخصيات

للأستاذ الناقد سيد قطب

فهو خير ما صدر فى هذه الفترة الأخيرة

من كتب التحليل والنقد

يقع فى ٣٥٢ صفحة من القطع المتوسط

ويباع فى ادارة الرسالة

وفى سائر المكتبات الشهيرة وثمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد